Journal Of the Iraqia University (73-1) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

فقه الخلاف مع المدعوين من خلال هدايات السيرة وأثره في الدعوة إلى الله وبناء الحضارة الإسلامية

د. علياء بنت علي بن بكر فلمبان

أستاذ مشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

Jurisprudence of disagreement with those invited through the guidance of the biography and its impact on calling to God and building Islamic civilization

Dr. Alyaa ali bakur felemban
Associate Professor in the Department of Da'wah and Islamic Culture, College of Da'wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University
Alyaa.uqu@gmail.com

الملخص:

اشتملت السيرة النبوية على ينابيع الحكمة والرحمات والهدايات للبشرية، وكان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم في أحوالهم المتعددة، ومواقفة المختلفة شاهدة على الرُقي في التعامل الإنساني حتى مع المخالف في الدين والمنهج.وقد حدثت العديد من المواقف مع المخالفين لشخص النبي ﷺ واتباعه ودعوته، وكان النبي ﷺ يتسامى في تعامله وانصافه وحسن خلقه مع الموافق والمخالف في كل ذلك.فكل مخالف مهما كانت درجة خلافه ينبغي أن يُعامل بقواعد العلم والعدل التي دلت عليه سيرة النبي المصطفى ﷺ، ومن سنن الله في خلقه أن جعلهم مختلفين في أشياء كثيرة: في طباعهم، وأفكارهم، ,السنتهم، وألوانهم، وفي آرائهم ونظراتهم في الدين والمجتمع، ومن الحكم العظيمة لذلك الاختلاف: الابتلاء والامتحان ليظهر من يعظم الحق ومن لا يُعظمه، فيتمايز أهل العلم والعدل عن غيرهم.وغياب قواعد التعامل مع المخالف المبنية على العلم والعدل والإنصاف تؤدي إلى مزيد من التفرق والتشرذم، والظلم للمخالف، وربما إلحاق الأذى والسوء به، وطرح هذا الموضوع على صورة قواعد من هدايات السيرة النبوية هو محاولة لضبط الموقف من الخلاف والمخالف وفق أصول شرعية وآداب أخلاقية.

الكلمات المفتاحية: فقه الخلاف، هدايات السيرة، المدعوين، الحضارة الإسلامية

Abstract:
The Prophet's biography encompasses a wealth of wisdom, mercy, and guidance for humanity. The Prophet's (peace and blessings be upon him) interactions with various people and his various stances bear witness to the sublime quality of human interaction, even with those who differed in religion and methodology. Many encounters occurred with those who opposed the Prophet (peace and blessings be upon him), his followers, and his message. The Prophet (peace and blessings be upon him) was sublime in his interactions, fairness, and good manners, both with those who agreed with him and those who disagreed with him.**Keywords:** Jurisprudence of Disagreement, Guidance of the Biography, Invitees, Islamic Civilization

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، أما بعد:فقد حوت السيرة النبوية على ينابيع الحكمة والرحمات والهدايات للبشرية، وكان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم في أحواله المتعددة، ومواقفه المختلفة شاهدة على الرُقي في التعامل الإنساني حتى مع المخالف في الدين والمنهج، من المدعوين.وقد حدثت العديد من المواقف من المدعوين، وكان النبي ﷺ يتسامى في تعامله، وانصافه، وحسن خلقه مع الموافق والمخالف في كل ذلك.والمخالف في الرأي والفِكر يحتاج إلى وقفة على منصة الإنصاف والعدل والعلم، فكل إنسان يحوي على الخير والشر،

وسوابق الفضل الصواب، والانصاف يتطلب عدم إهدار تاريخ المخالف لهفوة صدرت منه، سواء كانت هذه الهفوة فكرية أم خُلُقية، وتغليب المحاسن على المساوئ، وعدم الاستخفاف به، سواء بفكره ورأيه، أو بشخصه. فكل مخالف مهما كانت درجة خلافه ينبغي أن يُعامل بقواعد العلم والعدل التي دلت عليه سيرة النبي المصطفى ﷺ. ومن سنن الله في خلقه أن جعلهم مختلفين في أشياء كثيرة: في طباعهم، وأفكارهم، ,السنتهم، وألوانهم، وفي آرائهم ونظراتهم في الدين والمجتمع، ومن الحكم العظيمة لذلك الاختلاف: الابتلاء والامتحان ليظهر من يعظم الحق ومن لا يُعظمه، فيتمايز أهل العلم والعدل عن غيرهم. وغياب الحكمة والفقه في تعامل الداعية مع المخالف المبنية على العلم والعدل والإنصاف تؤدي إلى مزيد من التفرق والتشرذم، وتكون سببا لفشل الداعية في الدعوة إلى الله، وتنفير الناس منه، وطرح هذا الموضوع على صورة معالم من هدايات السيرة النبوية هو محاولة لضبط الموقف من الخلاف والمخالف وفق أصول شرعية وآداب أخلاقية.

أهمية البحث

: تظهر أهمية البحث في النقاط التالية:

١- أن في الاهتمام بجانب من جوانب سيرة النبي ﷺ وإبرازها، تجديد في الكتابة عن سيرته ﷺ والتي نجدها مبثوثة في كتب السير والحديث.

٢- أهمية الحديث عن تعامل النبي مع المدعوين والمخالفين له، وأنه رحمة للناس جميعاً، وإظهار لمحاسن الدين الإسلامي ببنائه لجسور التواصل الإنساني، والرقي الحضاري.

٣- حاجة البشرية اليوم إلى ميثاق تعايش وتوافق يسهم في عمارة الأرض بالخير، وتكوين روابط بين المجتمعات والثقافات المختلفة، وأفضل ما يقتدون به في ذلك هو سيرة المصطفى ﷺ.

٤- الاستفادة من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الخلاف، لإنجاح الدعوة الإسلامية، وجعلها مقوّم رئيسي من مقومات الحضارة الإسلامية.

مشكلة البحث

: حل مشكلة الاختلاف بين الدعاة والمدعوين في الأديان والثقافات والمبادئ، وبيان قيم وهدايات تعامل النبي ﷺ مع المدعوين لا سيما المخالفين له، من خلال استنباط تلك الهدايات في أقواله ومواقفه المختلفة، وأثر ذلك التعامل على نجاح الدعوة الإسلامية، وبناء الحضارة الإسلامية.

أسئلة البحث:

١- ما أهمية هدايات سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما مدى احتياج الدعاة لها في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر؟

٢- ما مفهوم فقه الخلاف و، وما أهميته، وما أنواعه؟

٣- ما معالم هدايات السيرة النبوية في التعامل مع المدعوين المخالفين؟

٤- ما أثر هذه المعالم على نجاح الدعوة الإسلامية؟

٥- ما دور هذه المعالم في بناء الحضارة الإسلامية؟

أهداف البحث:

١- التجديد في عرض السيرة النبوية، ووقائعها؛ بذكر المواقف الكبرى التي كان لها أثر كبير في في حسن التعامل مع المخالف من خلال السيرة النبوية، وما تضمنته من هدايات للبشرية.

٢- بيان مفهوم فقه الخلاف وأهميته وأنواعه.

٣- إبراز معالم هدايات السيرة في حسن التعامل مع المخالف، وجمال أخلاق النبي ﷺ ورحمته للمخالف وحرصه على هدايته، في حين دهر كثر فيه تشويه صورة الإسلام ونبيه الكريم ﷺ.

٤- المساهمة في معالجة كثير من الأخطاء التي وقع فيها بعض الدعاة في تعاملهم مع المدعوين المخالفين لهم في الدين.

٥- إبراز جانب من جوانب الاقتداء بالنبي الكريم محمد ﷺ، في بناء الحضارة الإسلامية وفق منهج أخلاقي قويم.

الدراسات السابقة:

١- منهج القرآن الكريم في إبطال حجج المخالفين لدعوة الرسل عليهم السلام، د. عبد الله بن علي بن أحمد القرني، رسالة ماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، عام ١٤٣٠هـ: تحدث فيها الباحث عن منهج القرآن في التعامل مع المخالفين.

٢- الخلاف وتأصيل آدابه في التربية الإسلامية، د. علي بن فراج العقلا، رسالة ماجستير من كلية التربية بجامعة أم القرى، ١٤١٥هـ: تحدث فيها الباحث عن علاقة فقه الخلاف بالتربية وتأصيله من ناحية تربوية.

٣- معالم فقه الخلاف في الشريعة الإسلامية، أعبد الوهاب بن محمد الحميقاني، رسالة ماجستير من كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٤٢٨هـ: تحدث فيها الباحث عن معالم فقه الخلاف في الشريعة، وأسبابه وضوابطه.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث تتبعت الأحاديث النبوية ومواقف السيرة النبوية، وتتبعت هداياتها **وقد اشتملت خطة البحث في هذا الموضوع على ما يلي.**التمهيد وفيه: حاجة الدعاة إلى سيرة النبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم–.المبحث الأول: مفهوم فقه الخلاف، وأهميته، وأنواعه.المبحث الثاني: معالم هدايات السيرة النبوية في التعامل مع المخالفين.المبحث الثالث: أثر فقه الخلاف مع المدعوين في الدعوة إلى الله وبناء الحضارة الإسلامية.

التمهيد:

حياة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– ومواقفه هي قصة نبي كريم، نشر الخير للناس، ودعاهم إلى ما فيه شرف لهم، وهي سطور ضياء ورحمة وهداية في صفحات الزمن لرجل عظيم في أخلاقه، وفي الدين الذي يدعو إليه، والمبادئ التي غرسها في أصحابه.وبدا من الملاحظ أن ثمة نوع من الإهمال للعودة للسيرة النبوية سواء من الدعاة والعلماء أو المثقفين والمصلحين، وكأنها أضحت من الموضوعات ذات النفع اليسير للبشرية.والحق أننا نحتاج للسيرة النبوية في حياتنا المعاصرة اليوم، للأمور التالية:أولاً: أنها مدخل أساسي للفهم الصحيح للإسلام والنبوة، فالسيرة هي التي تضبط لك معيار الحديث عن النبوة، فإذا أقررت بنبوة النبي ﷺ، فهي تنقلك مباشرة إلى التفريق بين النبي وغير النبي، وتظهر لك بصورة جلية الاصطفاء الذي شرف الله به الأنبياء، وأنهم وإن كانوا بشراً فقد كانت النبوة مرتبة علياء اختصوا بها عن بقية المصلحين والعظماء.أما الذين درسوا السيرة دراسة تتعلق بنظرة خاصة للعظماء من البشر الذين غيروا في التاريخ، وأحدثوا فيه تحولاً كبيراً، فإنهم في الأساس أهملوا الجانب النبوي في سيرة النبي ﷺ؛ إذ أن من القضايا الكُبرى التي تُعالج في السيرة النبوية الإقرار بالنبوة، فإن كان نبياً فتتعامل مع القصة كلها بطريقة أخرى مختلفة عن التعامل مع سيرة العظماء أو الدعاة والمصلحين.ثانياً: القول بأهمية استصحاب النبوة في الدعوة إلى الله لا يعني عدم الاستفادة من معرفة الظروف التي أحاطت بالداعية والمدعوين في ذلك الزمان، بل من المفيد للإصلاح في أي زمن من الأزمان التعرف على تلك الظروف، وهي من روافد النجاح في الدعوة إلى الله.ثالثاً: الحاجة إلى تفسيرات لبعض مواقف السيرة وأحداثها المستمرة في كل زمان ومكان وحدث بما يفيد الدعاة في دعوتهم؛ فنحن في كل زمن نحتاج إلى تفسير جديد، وإلى رؤية جديدة في سيرته، حتى نُحيي جانباً من جوانب ضعفنا، فإذا كان الأصل في السيرة معروف لدينا فإن من الممكن أن نُقدم جانباً في صلاح دعاتنا ومجتمعاتنا، حيث المستجدات والمنكرات في عصرنا الحاضر على مدار الثانية والدقيقة، وكل تلك التطورات تحتاج إلى تفسير نبوي من هديه صلى الله عليه وسلم، وإلى أساليب متجددة تتناسب مع تطورات العصر.رابعا: السيرة النبوية تُعطي المكانة الأولى للأفكار، أكثر مما تُعطية للعرق أو المكان أو الجغرافيا، والأفكار ملك عام لكل داعية يطمع في الاستفادة منها.فالسيرة النبوية فيها مركزية فكرية يستطيع أن يبدأ منها وبها كل داعية معتدل، وهي بذلك تعطي اجتماعاً ووحدة للأمة بعيداً عن وحدة العرق والجغرافيا، حتى كأن الدعاة كلهم يستطيعون العيش في وحدة من الأفكار في ظلال السيرة.سادساً: في السيرة النبوية تلبية للحاجة الملحة لدى الدعاة في جانب القدوة، وما دم الحال كذلك في نزعة القدوة لدى الإنسان قد عالجها القرآن بالرجوع إلى النبي والأنبياء الكرام عليهم السلام. وسيرة النبي الكريم محمد ﷺ أعظم سيرة كاملة تستحق أن تكون قدوة للناس، إذ هو الداعية الأول.سابعاً : أن السيرة النبوية تُعطي للدعاة جذوة الأمل، وتنقذهم من أسر اليأس، حين يواجهون المصاعب والمشاق في طريق دعوتهم فيظنون قلة حيلتهم، وصعوبة إبلاغ دعوتهم للناس، " وكلما خارت قواي وظننت أن الاستسلام للتيار أجدى رجعت بروحي وعقلي إلى سيرة القدوة الأعظم فوقفت وقفة الخشوع والإجلال تجاه سنين من حياته الشريفة قضاها في معالجة أخلاق قومه العرب، وإعدادهم لحمل مشعل الفضيلة والهدى، والسير به في أقطار الدنيا، وما هي إلا سنوات قلائل حتى كانت دعوة الإسلام أعز دعوة تتحرك به الألسنة، وحتى كانت الشعوب تتجرد من عقائدها وعباداتها، بل من ألسنتها وعاداتها؛ لتدخل تحت لواء الإسلام، وتنادي بكلمة: حي على الفلاح! في آفاق جديدة من آفاق الأرض".[1]فسيرة المصطفى ﷺ تبعث فينا الهمم بأن تلك الثلة القليلة المستضعفة استطاعت في عمر قصير تكوين مجتمع قوي حضاري قاد العالم فيما بعد لقرون، فلا نستسلم للحظات الضعف الآنية، بل العمل الدؤوب والهمة والصدق مع الله مع الأخذ بالأسباب ستنتهي بالصادقين إلى طريق النصر والتمكين.ثامناً: سيرة النبي ﷺ تلهمنا المحافظة على المواهب وتنوعها، وتكامل المجتمع ونهضته القوية بمثل ذلك، حيث أن ذلك التنوع يجعل للداعية القدرة على تمييز مواهب المدعوين واستغلالها للخير، وأن كل ذي موهبة يستطيع أن يؤدي دوراً حضارياً عظيماً، فمن الصحابة من وصفه النبي الكريم بأنه في قيادة الجيوش سيف الله المسلول الذي لا ينهزم، ومنهم من أوصى بأخذ القرآن عنه، ومنهم من كان فرضياً، وهكذا في تعدد مواهب الصحابة وتشجيع النبي ﷺ لهم على ذلك.تاسعا:

في سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم– انفتاحا لنشر دعوة الرحمة للناس، فهو الذي كان يأتي مجامع العرب لدعوتهم، ويرسل الكتب والرسل لأقطار بعيدة مع مشقة السفر وصعوبته لنشر الدعوة إلى الله، ويبتعد عن الانغلاق والعزلة التي ترفضها السيرة.

المبحث الأول: أهمية فقه الخلاف، وأنواع الخلاف.

المقصود بفقه الخلاف: هو معالم حسن الفهم لطرائق التعامل مع من خالف في الدين والشريعة والمنهج والفكر، سواء كان وثنياً أو كتابياً أو مبتدعاً أو منازعاً لك في بعض المسائل القطعية أو الظنية. (٢)

وسنتناول هذا المبحث في نقطتين أساسيتين، هما:

أولا: بيان أهمية فقه الخلاف.

تظهر لنا الحاجة لفقه الخلاف، والتعرف على آدابه، في النقاط التالية:

- تحقيق معاني العبودية لله عز وجل. (٣) **ففي التمسك بفقه الخلاف يظهر عبودية الله في بذل الحق والتمسك الصادق به، وعدم الميل عنه، والتعامل بعبودية الله مع المدعوين، فنعاملهم بالعدل والإنصاف، وإن كانوا مخالفين لنا، ونبذل معهم سبل الإقناع المختلفة لهدايتهم، ولو كنا لهم شانئين ، كما قال تعالى:** ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ **[المائدة:٢]**
- **الابتلاء والامتحان بإظهار من ينقاد للحق ويعظمه، ممن يستنكف عنه، كما قال تعالى:**

﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ **[المائدة:٤٨]**

- **ليستشعر أهل الهداية ما اصطفاهم الله به من الهداية إلى طريق الرشاد، كما قال تعالى:** ﴿ **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾**[البقرة:٢١٣]**
- شحذ العقول لتتأمل وتتدبر الحجج والمقالات وتتعرف على الحق بقناعة وصدق إيمان.(٤) فالقرآن والسنة فيها ذكر للجدال مع المخالفين وأمر لهم بالتأمل والتفكر في آيات الله الباهرة الكونية والعلمية، كما قال تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[العنكبوت:٢٠]
- أن التحلي بفقه الخلاف يبعث روح الفأل، وحسن التعامل والتعايش مع الآخرين مهما بلغت درجة الخلاف.

فكما أننا لا ننفك نختلف في نظراتنا الفكرية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية، فكذلك لا ننفك نحتاج إلى بعضنا لنعيش في بيئة منتجة وآمنة وحضارية، ولا يمكن لنا ذلك إلا بميثاق تعايش حضاري.فالله سبحانه خلق الناس شعوباً وقبائل مختلفة ليتعارفوا لا ليتقاتلوا ويتنازعوا، وكلما قوي الترابط، وميثاق الائتلاف، وفقه الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، كان ذلك عنوان قوتها، وتطورها ورقيها حضارياً وعلمياً واقتصادياً.(٥)**ومن جماليات الإسلام الارتباط بميثاق الأخوة المؤثرة في التعامل مع الخلاف، فمهما بلغ الخلاف إلا أن الأخوة تجعلنا نحسن التأمل فيه، كما قال تعالى:** ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾**[الحجرات:٩-١٠].**

- ومما يدل على أهمية فقه الخلاف أنه يتحقق من خلاله القيام بالأخلاق التي أمر بها الإسلام.فخلق الرحمة بالمخالف، والحرص على هدايته، من أسمى الأخلاق التي تحلى بها النبي ﷺ، وأمر أصحابه بالتحلي بها، ففي الوقت الذي كانت تتعامل به قريش في خلافها مع النبي ﷺ بالسنان ومحاولة القتل كان الرسول الكريم ﷺ يدعو لهم ويقول: (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون). (٦)
- وفي فقه الخلاف دعوة للإسلام والسلام. فمن خالفك في الدين حين يرى حسن بيانك، وحرصك على هدايته والرحمة به، والتعامل معه بميثاق من الأخلاق الحسنة، واستعمال القول اللين في مخاطبته، والقيام بالعدل معه، مع حسن عرض للحق الذي معك، وبيان الحجة الواضحة عليه، ربما اثر ذلك في نفس المخالف وأتباعه.**وقد كانت أخلاق النبي وحسن تعامل، وصدق حديثه وأخلاقه، مما أثر على الناس قي قبول الحق الذي معه، والاستجابة لدعوته، كما قال تعالى:** ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾**[آل عمران:١٥٩]**

ثانياً: أنواع الخلاف.

١-ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– أن الاختلاف جاء في القرآن على قسمين (٧) :

القسم الأول: ما يُذم فيه الطائفتان جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ **[البقرة:١٧٦]وقوله تعالى:** ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ **[آل عمران:١٩]** "وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه: إما فساد النية؛ حين يداخلها البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض ونحو ذلك، وإما بسبب جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق: في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا" [٨]**أما القسم الثاني: فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما في قوله تعالى:** ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣]وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء وسفك الدماء واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء بين الأمة من القسم الأول؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك. [٩]

٢- أما عن أنواع الخلاف في العلوم والمعارف الإسلامية فيمكن تقسيمه على نوعين[١٠]:الأول: ما كان محتملاً لوجود ما يبرره. وذلك في المسائل التي لا يكون فيها إجماع، أو نص صريح لا معارض له من جنسه، مع استفراغ الوسع، والتجرد من الهوى والتعصب.فهذا النوع أصحابه معذورون، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، كما جاء في الحديث[١١]، وقد تنازع الصحابة في قضايا علمية وعملية، واستفرغوا وسعهم في طلب الحق، وقد أقر النبي ﷺ الفريقين على ما أداهم إليه اجتهادهم في بعض المسائل التي بلغه خلافهم فيه، كما أنهم اتفقوا في بعض المسائل على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كل ذلك مع بقاء الألفة والمحبة والمولاة بينهم._[١٢]أما النوع الثاني: فالخلاف لصريح القرآن والسنة، وما أجمع عليه السلف، وهو الخلاف المذموم، الذي عمد إليه أصحاب الأهواء والبدع.**وهو راجع في أصله إلى اتباع الهوى والتقليد المذموم الذي يصل بصاحبه إلى الإعراض عن الحق، وترك اتباعه، كما قال تعالى:** ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ **[القصص:٥٠]**

المبحث الثاني: معالم هدايات السيرة النبوية في التعامل مع المخالفين.

ومن أظهر ما يُلاحظ في تعامل النبي الكريم محمد ﷺ مع المخالفين له هو حرصه على هدايتهم؛ وذلك ببيان الحق لهم نقياً، ودعوتهم إليه بالرفق واللين وفي السيرة النبوية يلاحظ المطالع فيها أن التعامل مع المخالفين يقوم على ثلاثة أسس، العلم بالحق وبيانه للناس، إذ خلاف ذلك الجهل الذي يهدي إلى سوء السبيل. والعدل مع المخالف، والذي خلافه الظلم الذي يَفْجر فيه صاحب الخصومة، ولا يؤدي الحق كاملاً تاماً، والرحمة بالمخالف، وإرادة الخير والهدى له. [١٣] وسنقسم تلك المعالم في التعامل مع المخالف في السيرة النبوية، إلى مايلي:

أولاً: معالم الهدايات في العلم واليقين فبالعلم يبتعد الإنسان من الوقوع في سُبل الظلال والجهل بالحق، كما يبتعد عن الخطأ في التعامل مع المخالف معاملة صارفة عن اتباع طريق الحق، وقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم متمسك في دعوته وتعامل مع الموافق والمخالف بالعلم وطرقه، فيقول كما يأمره ربه: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ **[الأنعام:١٤٨]** لكن الذين لا يعلمون اتبعوا اهواءهم، وما وجدوا عليه أباءهم، وقد ظهر تمسك النبي بالعلم الذي أخبره الله به، وأنه العروة والوثقى، وظهر ذلك في العديد من المواقف الدالة على ذلك، وهنا نذكر أهم المعالم الهدايات المرتبطة بالعلم واليقين بما جاءه من ربه، في النقاط التالية:

- اليقين بأن الهداية للحق والثبات عليه هو نعمة من أجل النعم التي يمتنها الله على عباده **كما قال تعالى عن نبيه ومصطفاه** ﷺ ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ **[الإسراء : ٧٣]**يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك.﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣] فـ {لَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ} على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، {لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا} من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم. و{إِذًا} لو ركنت إليهم بما يهوون {لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات} أي لأصبناك بعذاب مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك. {ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة".[١٤]وكان النبي ﷺ يكثر من الدعاء: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات

والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم). (١٥)

• **أن يكون مقصد المصلح مع المخالف هو تبليغ دين الله وبيانه فلا يتمسك بحظ نفس، أو الوصول لجاه أو مكانه في رده على المخالف، بل مقصده الأسمى أن تكون كلمة الله هي العليا، وكان قول الرسول والرسل من قبله وهم يبينون الحق لأقوامهم** ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **[الشعراء: ١٠٩]**

• **إظهاره ﷺ للعزة والثقة بالله في حواره مع المخالفين** فكان في دعوته بمكة وهو فرد لا ناصر له ولا دولة، بل قومه هم من ناصبه العداء، فكان ثابتاً على الحق لا يحيد عنه، يجهر به في مجامع قريش والعرب. وحين هاجر للمدينة، وبنى مجتمعاً وأمة مؤمنة، استمر على ذلك النهج القويم مع كل من خالفه، فعن ابن عباس قال: – قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَجَعَلَ يقولُ: إنْ جَعَلَ لي مُحَمَّدٌ الأمْرَ مِن بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وقَدِمَهَا في بَشَرٍ كَثِيرٍ مِن قَوْمِهِ، فأقْبَلَ إلَيْهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ومعهُ ثَابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وفي يَدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حتَّى وقَفَ علَى مُسَيْلِمَةَ في أصْحَابِهِ، فَقَالَ: لو سَأَلْتَنِي هذِه القِطْعَةَ ما أعْطَيْتُكَهَا، ولَنْ تَعْدُوَ أمْرَ اللَّهِ فِيكَ، ولَئِنْ أدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وإنِّي لَأَرَاكَ الذي أُرِيتُ فِيهِ، ما رَأَيْتُ، وهذا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ عنْه، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عن قَوْلِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّكَ أُرَى الذي أُرِيتُ فيه ما أرَيْتُ، فأخْبَرَنِي أبو هُرَيْرَةَ: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ في يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِن ذَهَبٍ، فأهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إلَيَّ في المَنَامِ: أنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُما فَطَارَا، فأوَّلْتُهُما كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي أحَدُهُما العَنْسِيُّ، والآخَرُ مُسَيْلِمَةُ.(١٦)وعن نُعيم بن مسعود الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ كتابَ مُسيلِمةَ: ما تقولانِ أنتما قالا نقولُ كما قال قال أمَا واللهِ لولا أنَّ الرُّسلَ لا تُقتَلُ لضربتُ أعناقَكُما. (١٧)

• **مناقشة المخالفين وبيان الحق لهم** كان ﷺ يناقش ويبين الحق لمن يدعوهم. والأمثلة في هذا كثيرة، ومنها: ما جاء عن ربعي بن حراش، عن رجل من بني عامر، أنه اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَأَلِجُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ: " اخْرُجِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الِاسْتِئْذَانَ، فَقُولِي لَهُ: فَلْيَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ " ، قَالَ : فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَدْخُلُ ؟ قَالَ : فَأَذِنَ ، أَوْ قَالَ : فَدَخَلْتُ ، فَقُلْتُ : بِمَ أَتَيْتَنَا بِهِ ؟ قَالَ : " لَمْ آتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، أَتَيْتُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . قَالَ شُعْبَةُ : وَأَحْسِبُهُ قَالَ . وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ تَدَعُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَأَنْ تُصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَأَنْ تَصُومُوا مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا ، وَأَنْ تَحُجُّوا الْبَيْتَ ، وَأَنْ تَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِ أَغْنِيَائِكُمْ فَتَرُدُّوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ " ، قَالَ : فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ لَا تَعْلَمُهُ ؟ قَالَ : " قَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، الْخَمْسَ { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } "(١٨)

- **أن الحق المطلق هو ما جاء به الله عز وجل ونبيه المصطفى** ﷺقالكلام الذي لا ريب فيه هو قول الله كما قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِير}[الأنعام:٧٣]وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – هو الحق كذلك، كما قال ﷺ: " اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق". يعني من فيه. (١٩)

ثانياً: معالم الهدايات في العدل والإنصاف.

العدل فضيلة مطلقة، وأكمل من تخلق بالعدل في مختلف أحواله، هو النبي صلى الله عليه وسلم، فكأن عادلاً مع كل أحد في كل حالاته وأزمانه، وسنستعرض بعض هدايات السيرة النبوية في العدل والإنصاف في النقاط التالية:

- **الثناء على من تخلق بخلق الإنصاف:** من إنصاف النبي صلى الله عليه وسلم وعدله أنه أثنى على من أتصف بخلُق الإنصاف، فقال ﷺ : (إن المقسطين عند اللهِ تعالى على منابرَ من نورٍ، على يمينِ الرحمنِ – وكلتا يديه يمين–، الذين يعدلون في حكمِهم وأهليهم وما وُلُّوا). (٢٠ وحين أرسل أحد الصحابة برسالة لأهل مكة يخبرهم بنية الرسول ﷺ وإعداده الجيوش لفتح مكة، وقد أخذ النبي ﷺ كافة الاحتياطات حتى لا يعلم عدوه بتحركاته، إلا أن ذلك الصحابي بعث برسالة ووقعت في يد رسول الله ﷺ، فهل عاقب مرسلها أم سأله وتحقق من مقصده من تلك الرسالة، بل ويُصدقه فيما يعتذر به، فعن علي بن أبي طالب قال: بَعَثَنِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَا والزُّبَيْرَ والمِقْدَادَ، فَقالَ: انْطَلِقُوا حتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فإنَّ بهَا ظَعِينَةً معهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ منها فَذَهَبْنَا تَعَادَى بنَا خَيْلُنَا حتَّى أتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أخْرِجِي الكِتَابَ، فَقالَتْ: ما مَعِي مِن كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فأخْرَجَتْهُ مِن عِقَاصِهَا، فأتَيْنَا به النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَإِذَا فيه مِن حَاطِبِ بنِ أبِي بَلْتَعَةَ إلى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِمَّنْ بمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ ببَعْضِ أمْرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (ما هذا يا حَاطِبُ؟) قالَ:

لا تَعْجَلْ عَلَيَّ يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ امْرَأً مِن قُرَيْشٍ، ولَمْ أكُنْ مِن أنْفُسِهِمْ، وكانَ مَن معكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لهمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بهَا أهْلِيهِمْ وأَمْوَالَهُمْ بمَكَّةَ، فأحْبَبْتُ إذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فيهم، أنْ أصْطَنِعَ إليهِم يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وما فَعَلْتُ ذلكَ كُفْرًا، ولَا ارْتِدَادًا عن دِينِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (إنَّه قدْ صَدَقَكُمْ). فَقالَ عُمَرُ: دَعْنِي يا رَسولَ اللَّهِ فأضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقالَ: إ(نَّه شَهِدَ بَدْرًا وما يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)[٢١]

- **الحث على قول العدل وألا يخاف القائل إلا من الله وحده كما أمر الله عباده المؤمنين بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآية:" وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بُغض مأمور به، فإن كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه".[٢٢]

- **الإنصاف في عرض حجة المخالف والرد عليها وعدم البغي عليه:** الإنصاف خلق الكمّل من الناس، وبالعدل والإنصاف يصلح القلب وتستقيم النفس، وبالظلم والجور تفسد الطباع وتزيغ الأهواء، حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً وفقاً لهوى النفوس. ولقد أبان النبي الكريم محمد ﷺ عن أهمية الإنصاف ومكانته، وأن له المنزلة العليا التي لا يقوم الحق إلا عليها، فكما أن العلم عاصم من الجهل، فالعدل عاصم من الظلم، فمن نجى من غوائل الجهل فلا بد أن يتحرر من غوائل الأهواء والزيغ لئلا يقع في الظلم. والفجور في خصومة المخالف، والبغي عليه من دروب الزيغ في التعامل مع المخالف، وهو من الصفات التي شنع عليها الإسلام بل عدها من صفات المنافقين، كما قال ﷺ : "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".[٢٣]**"والإختلاف المذموم عند الأمم السابقة إنما حل بهم جراء بغيهم واختلافهم على أنبيائهم، كما قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]**

"فالبغي مذموم مطلقاً، سواء كان في أن يلزم الانسان الناس بما لا يلزمهم، ويذمهم على تركه، أو بأن يذمهم على ما هم معذورون فيه، والله يغفر لهم خطأهم فيه، فمن ذم الناس وعاقبهم على ما لم يذمهم الله تعالى ويعاقبهم عليه فقد بغي عليهم، لا سيما إذا كان ذلك لأجل هواه".[٢٤]

- **مجادلة المخالفين بالّتي هي أحسن.**فعن أبي عبيدة عن رجل قال: قلت لعدي بن حاتم: حديثٌ بَلَغَني عنك أُحِبُّ أنْ أسمَعَه منك، قال: نعمْ، لمَّا بَلَغَني خروجُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فكَرِهتُ خروجَه كَراهةً شَديدةً، خَرَجتُ حتى وَقَعتُ ناحيةَ الرُّومِ، وقال يَعني يَزيدَ: ببَغدادَ، حتى قَدِمتُ على قَيصَرَ، قال: فكَرِهتُ مكاني ذلك أشدَّ مِن كَراهيَتي لخروجِه، قال: فقُلتُ: واللهِ، لولا أتَيتُ هذا الرَّجُلَ، فإنْ كان كاذبًا لم يَضُرَّني، وإنْ كان صادقًا عَلِمتُ، قال: فقَدِمتُ فأتَيتُه، فلمَّا قَدِمتُ، قال النَّاسُ: عَديُّ بنُ حاتمٍ، عَديُّ بنُ حاتمٍ! قال: فدَخَلتُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال لي: يا عَديُّ بنَ حاتمٍ، أسلِمْ تَسلَمْ، ثلاثًا، قال: قُلتُ: إنِّي على دِينٍ، قال: أنا أعلمُ بدِينِكِ منك، فقُلتُ: أنت أعلمُ بدِيني منِّي؟! قال: نعمْ، ألستَ مِن الرَّكوسيَّةِ، وأنت تَأكُلُ مِرباعَ قَومِكَ؟ قُلتُ: بلى، قال: فإنَّ هذا لا يَحِلُّ لك في دِينِكَ، قال: فلمْ يَعْدُ أنْ قالها، فتَواضَعتُ لها، فقال: أمَا إنِّي أعلَمُ ما الذي يَمنَعُكَ مِن الإسلامِ، تقولُ: إنَّما اتَّبَعَه ضَعَفةُ النَّاسِ، ومَن لا قوَّةَ له، وقد رَمَتْهم العَرَبُ، أتَعرِفُ الحِيرةَ؟، قُلتُ: لم أرَها، وقد سَمِعتُ بها، قال: فوالذي نفْسي بيَدِه، ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمْرَ، حتى تَخرُجَ الظَّعينةُ مِن الحيرةِ، حتى تَطوفَ بالبَيتِ في غيرِ جِوارِ أحَدٍ، ولَيُفتَحَنَّ كُنوزُ كِسرى بنِ هُرمُزَ، قال: قُلتُ: كِسرى بنُ هُرمُزَ؟! قال: نعمْ، كِسرى بنُ هُرمُزَ، ولَيُبذَلَنَّ المالُ حتى لا يَقبَلَه أحَدٌ، قال عَديُّ بنُ حاتمٍ: فهذه الظَّعينةُ تَخرُجُ مِن الحيرةِ، فتَطوفُ بالبَيتِ في غيرِ جِوارٍ، ولقد كنتُ فيمَن فَتَحَ كُنوزَ كِسرى بنِ هُرمُزَ، والذي نفْسي بيَدِه لتَكونَنَّ الثَّالثةُ؛ لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد قالها![٢٥]

- **استخدام الأسلوب الأمثل في العرض والرد، والدعوة إلى قبول الحق** فقد كان لطريقة النبي الكريم ﷺ الأثر الواضح في استجابة الناس ودلالتهم إلى الحق، فمن ذلك التذكير الدائم بقدرة الله.ومن ذلك التذكير الدائم بأن الله مع الإنسان يراه ويراقبه ثم يحاسبه يوم القيامة على ما عمل من الخير والشر، فعن أبي مسعودٍ الأنصاريّ، قال: كنتُ أضْرِبُ غلاماً لي، فسمِعْتُ مِن خَلْفي صوتاً: "اعلَمْ أبا مَسْعُودِ –قال ابنُ المثنى: مرتين– للهُ أقدَرُ عليكَ منكَ عليهِ" فالْتفتُّ، فإذا هو النبيُّ –فقلتُ: يا رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم –، هو حُرٌّ لِوجه الله تعالى، قال: "أما لو لم تَفْعَلْ لَلفَعَتْكَ النَارُ –أو: لمسَّتْكَ النارُ –"[٢٦]وذكر القصص التي بها يُعرف أهل الحق من أهل الباطل وأهل النجاة من أهل الخسران والخزي، ومثل ذلك قصص الأنبياء ودعوتهم للناس، وكيف كانت عاقبتهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». [٢٧]فهذه أسس جامعة تبين مدى تنوع الأسلوب النبوي واستخدامه

لأفضل الأساليب، مع العدل في كل جانب من العقل والوجدان، وملازمة الحق الذي لا ينفك عنه.

• معاملة المخالف بما يظهر منه دون التكلف في الدخول في نياته. فالنبي ﷺ مع ما أطلعه الله عليه من الغيب، إلا أنه يعامل الناس بما يظهر منهم، مع تقديم حسن الظن بهم، والاستغفار لهم، وقبول توبتهم واعتذارهم، ففي إحدى المواقف في توزيع المال الذي يأتي إلى النبي ﷺ، فقسمه بين بعض أصحابه قال رجل لرسول الله: اتق الله. فقال رسول الله: (ويلك ألست أحق أهل الأرض أ يتقي الله؟) ثم ولّى الرجل. فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله: (لعله أن يكون يُصلي). قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم)._[٢٨]فلم يكن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الاشتغال بتكفير المنافقين، والتقصي عنهم، " فقد ترك المنافقين وما يُنقل عنهم من كفر ظاهر بالقول والعمل، فلم يتتبعهم، أو يحاكمهم، أو حتى يحكم بالكفر على أعيانهم، وإنما اكتفى بما جاء في القرآن من بيان كفرهم بالنوع، ومن فضح مناهجهم".[٢٩]

• **التوجه إلى اسقاط القول المخالف لا لقائله** فكثيرا ما توجه تحذير النبي من النفاق وأهله، دون ذكر أسمائهم، وكذلك الآيات الكثيرة عن أهل الكتاب والمشركين دون ذكر أسمائهم إلا في مواقف معينة واستثنائية، إذ الأصل هو اسقاط القول الباطل. وكان النبي ﷺ يجمع الناس ويوجههم بالبعد عن العديد من المواقف التي قام بها بعض المخالفين لهديه، وهو في كل ذلك مع توافر شجاعته، وقوته، لا يذكر أسماءهم بل يصعد على منبره ليظهر بطلان ذلك الفعل أو القول، بقوله ما بالُ أحدِكم، أو ما بال أقوام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ– صلى الله عليه وسلم– إذا بلغَه عن الرجلِ الشيءَ ، لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقولُ , ولكن يقولُ: ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا. [٣٠] وذلك من حسن أدب النبي ﷺ، وهو من القول اللين مع المخالف الذي أمر الله به، وفيه تأليف لنفس المخالف فيستجيب للحق.

• **مراعاة منازل وأحوال المخاطبين**.فقد ظهر جلياً مراعاة النبي ﷺ لمنازل وأحوال المخالفين، من بين معاند أو جاهل أو مجادل سائل مستبصر .فالنبي الكريم يتعامل مع جميع الناس مع تفاوت علومهم وفهومهم وبيئاتهم وأجيالهم، ولكنه لا ينفك عن أن يحرص على هدايتهم، والبيان لكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم،فلم يجعل النبيﷺ المخالفين له في منزلة متساوية، مع أنهم في كثير من الأحوال طائفة واحدة، فـ" من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره، ويُعفى عنه مالا يُعفى من غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى خبث يقع فيه.. وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم: أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه، فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة".[٣١]

• **الانتفاع من الحق الذي يقوله المخالف:** فالحق أحق أن يُتبع دون توقف على من قاله أو غرض القائل، فيجب أن توطن النفس على قبول الحق حتى لوجاء من المخالف في الدين والمنهج، فعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنك تُشركون. قال: سبحان الله! وما ذاك؟ قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شئياً ثم قال: (من حلف فليحلف برب الكعبة). قال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال: (سبحان الله! وما ذاك؟) قال: تقولون: ما شاء الله وشئيت. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شئياً ثم قال: (فمن قال ما شاء الله فليقل ثم شئت). [٣٢]

ثالثاً: معالم الهدايات في الأخلاق.

فمكارم الأخلاق والدعوة إليها من أسمى ما مسك بها النبي ﷺ حتى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، وقد ظهرت لنا بعض هدايات السيرة النبوية في التعامل مع المخالفين فيما يلي:

- **الالتزام بميثاق الأخلاق في كل الظروف والأحوال**.فعن عمر بن الخطاب أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتي به فأمر فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال: النبي ﷺ(لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إنه يحب الله ورسوله) . [٣٣] وفي يوم فتح مكة أخبر النبي ﷺ أصحابه بقتل إفراد من الناس ممن أذوا المؤمنين أذى شديداً، وكان منهم عبدالله بن أبي اسرح، فما كان منه إلا أن اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، جاء به عثمان حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله، بايع عبد الله، قال: فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله» فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلّا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين» .[٣٤]وفي ذلك تمام التمسك بالصدق، وحسن التعامل النبوي مع الصحابة، والقائم على الوضوح التام.وحين آذى رسول الله رجل –من المسلمين –يوم حنين وقال عنه قولاً

عظيماً، في القِسْمَةِ، حين قالَ الرَجُلُ: واللَّهِ إنَّ هذِه القِسْمَةَ ما عُدِلَ فِيهَا، وما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ، فكان رد المصطفى ﷺ أن قالَ: (فمَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ ورَسولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبَرَ). (٣٥)

• **حرصه ﷺ على هدايتهم وتأليف قلوبهم.فعن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] خَرَجَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حتَّى صَعِدَ الصَّفا، فَهَتَفَ: يا صَباحاهْ، فقالوا: مَن هذا الذي يَهْتِفُ؟ قالوا: مُحَمَّدٌ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فقالَ: يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي عبدِ مَنافٍ، يا بَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فقالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بسَفْحِ هذا الجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ كَذِبًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، قالَ: فقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ أما جَمَعْتَنا إلَّا لِهذا، ثُمَّ قامَ فَنَزَلَتْ هذِه السُّورَةُ: (تَبَّتْ يَدا أبِي لَهَبٍ وقدْ تَبَّ)**[٣٦]. وعن ابن عباس _ رضي الله عنهما– قال: ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى يدعوهم.[٣٧]وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه– قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وأَصْحَابُهُ، علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ دَوْسًا عَصَتْ وأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وأْتِ بهِمْ. (٣٨)

• **الهجر للمخالف المخطئ ينبغي حسن تقديره**.فالهجر نوع من العقاب، وينبغي التوقف على جدوى نفعه، وتأثيره الإيجابي؛ إذ هو سلاح ذو حدين، فقد يعيد المخالف إلى جادة الصواب، وقد يزيده غلو وافتراقاً عن الحق وأهله.

والنبي ﷺ لم يهجر المنافقين مع مخالفاتهم المتكررة لما يدعو إليه، واعتذارهم عن ذلك بأعذار واهية، ولكن حين خالف أمر بعض صحابته الصادقين عاقبهم بذلك لأيام كثيرة، لما فيه من أثر عميق في تقويم سلوكهم، " ولهذا ينظر الحكيم المسدد إلى الهجر كما ينظر الطبيب إلى العملية الجراحية الخطرة، فإذا ظهر بجلاء نجاحها ونفعها وإلا تركها".[٣٩]

• **حسن الإنصات للمخالفين حين يخاطبونه**.فكان ﷺ يحسن الإنصات لمن جاء يجادله من المخالفين له، فعن جابر – رضي الله همه– قال: اجتَمعتْ قُرَيشٌ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا فقال: انظُروا أعلَمَكم بالسِّحرِ، والكَهانةِ، والشِّعرِ، فلْيأتِ هذا الرجُلَ الذي قد فرَّقَ جماعتَنا، وشتَّتَ أمْرَنا، وعاب دينَنا، فلْيُكلِّمْه، ولْينظُرْ ما يرُدُّ عليه. قالوا: ما نعلَمُ أحدًا غَيرَ عُتبةَ بنِ رَبيعةَ. قالوا: أنتَ يا أبا الوليدِ، فأتاه عُتبةُ، فقال: يا محمَّدُ، أنتَ خَيرٌ أم عبدُ اللهِ؟ فسكَتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. قال: أنتَ خيرٌ أم عبدُ المطَّلِبِ؟ فسكَتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. قال: فإنْ كنتَ تزعُمُ أنَّ هؤلاءِ خيرٌ منكَ قد عبَدوا الآلهةَ التي عِبتَ، وإنْ كنتَ تزعُمُ أنَّكَ خيرٌ منهم فتكلَّمْ حتى نسمَعَ قولَكَ، أَمَا واللهِ ما رأَيْنا سَخْطةً أشأَمَ على قَومِكَ منكَ، فرَّقتَ جماعتَنا، وشتَّتَ أمرَنا، وعِبتَ دينَنا، وفضَحْتَنا في العرَبِ، حتى طارَ فيهم أنَّ في قُرَيشٍ ساحرًا، وأنَّ في قُرَيش كاهنًا، ما ينتظِرُ الأمثَلُ صَيْحةَ الحُبْلى بأنْ يقومَ بعضُنا لبعضٍ بالسيوفِ حتى نتفانى، أيُّها الرجُلُ إنْ كان إنَّما بكَ الحاجةُ جمَعْنا لكَ مِن أموالِنا؛ حتى تكونَ أغنى قُرَيشٍ رجُلًا، وإنْ كان إنَّما بكَ الباءةُ فاختَرْ أيَّ نساءِ قُرَيشٍ، فنُزوِّجُكَ عشرًا. فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أفرَغتَ؟ قال: نعَمْ، قال: فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...} حتى بلَغَ: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١-١٣]. فقال عُتبةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ. (٤٠)

• **حسن معاملته ﷺ لرعايا الدولة الإسلامية من المخالفين له.** فالله سبحانه وتعالى أمر بالوَفاءِ بالعُهودِ، وشنَّع النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على مَنْ نَقَضَ العَهْدَ الذي أعطاه الشارِعُ الحكيمُ للكُفارِ غَيْرِ المُحارِبينَ من أهْلِ الذِّمَّةِ والمُسْتَأْمَنينَ، فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "مَنْ قَتَلَ قَتيلًا" من أهْلِ الذِّمَّةِ لم يَرِحْ رائِحَةَ الجنَّةِوإنَّ ريحَها يُوجَدُ من مَسيرةِ أرْبَعينَ عامًا "[٤١] فحرّم التعدي عليهم بالقتل، أو ظلمهم أو أخذ أموالهم بغير حق.

المبحث الثالث: أثر فقه الخلاف مع المدعوين في الدعوة إلى الله وبناء الحضارة الإسلامية.

أولا: أثر فقه الخلاف مع المدعوين في الدعوة إلى الله.الشدة مع المخالف تكون وفقا للضوابط الواردة في القرآن والسنة، ويحتاج إليها الداعية في ظروف معينة، ولكن الأصل في الدين الإسلامي هو إحسان الظن والإنصاف والعدل ، وهذه الأخلاق لها آثار عظيمة على أخلاق الداعية، مما ينعكس على نجاح العملية الدعوية ومن تلك الآثار :نشر الدين الإسلامي بأيسر السبل، وأسهل الطرق، لأن الإسلام دين الرحمة والإحسان، الدين الذي ينبذ العصبية والهمجية والإرهاب، وذلك خلافا لما ينشره المغرضون عن الإسلام، حيث تم إظهاره عند الغرب على أنه دين إرهابي همجي، لكن الإحسان الذي يصدر من الداعية لكل من خالفه ، واستيعاب الداعية لفقه الخلاف، سيجعل الناس يدخلون في الدين أفواجا، وقد انتشر الإسلام بسبب هذه القيمة وغيرها من القيم الإسلامية، حيث اتسعت رقعة الدين الإسلامي، وأقبل الناس على اعتناق الإسلام، بسبب روح الإحسان الذي تشبعت به نفوس المسلمين، وأكبر شاهد على ذلك، تاريخ دخول الإسلام إلى آسيا , وجنوب شرق آسيا , وأوروبا[٤٢]، ومن صور نشر الإسلام بحسن الخلق مع المخالف قصة الغلام اليهودي، فعن أنس رضي الله عنه: **«أن غلاما ليهود، كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقال: «أسلم» فأسلم»**[٤٣].

١- شيوع الألفة والمحبة بين المجتمع الواحد، غربيا كان أو شرقيا، مسلما كان هذا المجتمع أم مختلطا بين المسلمين وغير المسلمين، فديننا دين التسامح، وهو أبعد ما يكون عن الإرهاب والتخويف والقسوة، أشاع مبدأ الإحسان، وحث على هذه القيمة، ليعم التواد والتراحم والتعاون والتآزر .

٢- توسط الداعية في حكمه على المخالفين وإنصافه وعدله، حيث أن الاختلاف واقع لا محالة حتى بين المسلمين أنفسهم، وقد يؤدي إلى أمرين مذمومين: إما التساهل في الدين بحجة الاختلاف، أو المبالغة والتشدد بحجة الاختلاف أيضا، ولكن الداعية الذكي يستوعب هذا الاختلاف ويراعيه ومن ثم يتوسط في موقفه مع المخالف، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة ١٤٣]

٣- اقتداء المخالفين المتعصبين والمتشددين بالداعية المسلم المحسِن الظن بمن حوله، المتوسط في أحكامه، فلا شك أن القدوة الحسنة هي من أفعل الوسائل وأقربها للنجاح، وأكثرها فاعلية في حياة الدعاة، والداعية المحسِن الظن يدعو إلى الإحسان والأخلاق الحسنة من خلال خصاله وأفعاله، من دون أن يبذل أدنى مشقة في ذلك، ويستميل قلوب الناس إليه.

٤- تحقيق الأمن الفكري والنفسي والدولي للمجتمع، فالتكفير وإلقاء الأحكام الغير منصفة على المخالف مدعاة للإرهاب، وبالرجوع إلى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه في الخلاف، نجد أنه أسس مجتمعا مطمئنا وآمنا، رغم أن المخالفين كانوا قوة لا يستهان بها آنذاك.

٥- انتهاج الأساليب والوسائل النافعة في الدعوة إلى الله والتي تتناسب مع المخالفين، وذلك بتعزيز الحوار والنقاش مع المخالف، حيث أن الحوار البناء، يوصل المخالف إلى الحق ببيان الأدلة والحجج والبراهين، وغيرها من الأساليب النافعة والتي تدل على حكمة الداعية، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل ١٢٥]

ثانيا: دور فقه الخلاف في بناء الحضارة الإسلامية.

الأخلاق الإسلامية الأصيلة، والقيم الإسلامية الرفيعة هي التي ترفع أقواما وتخفض آخرين، ومدار الخير والفضل والتحضر والتقدم والرفعة هو تمسك الأمة بالقيم والمثل العليا، وطالما انتفت هذه المعاني من أبناء الأمة، فلا شك أن مصير هذه الأمة الزوال والانحدار.

مما يميز المجتمعات المتحضرة اتفاقها على المبادئ والقيم، وتمسك أهلها بها، مما يجعلهم يتسمون بالوحدة والتواد والتراحم والتلاحم فيما بينهم البين، وبالقوة والغلبة على أعدائهم، وحتى هذه القوة والغلبة لا تكون بظلم المخالف وإرهابه، وإنما تكون بالعدل والأنصاف والتجرد من الأهواء.

فإذا كان المجتمع محكوما بالقيم والفضائل، ويتساوى في ذلك الحاكم والمحكوم، الغني والفقير، ارتقى ذلك المجتمع لعمارة الأرض، وسعى لتشييد أفضل الحضارات وأدومها، فالمجتمع الذي يثبت على مبادئه وقيمه، يصبح مجتمعا واضح الهوية، محافظا على تلكم الهوية، مما يضمن له البقاء والاستمرار.

أما عدم استيعاب فقه الخلاف، فإنه يجعل المسلم يسلك طرق الإرهاب والعصبية والتكفير، ويغرق المجتمع في بلوى الحروب وسفك الدماء بغير وجه حق، وهذا بلاء مستطير ينذر بهلاك المجتمعات التي تغرق في مستنقعه.

الخاتمة:

أحمد الله على ما منّ عليّ به من تمام البحث، وقد انتهيت فيه إلى النتائج التالية:

-أننا في عصرنا الحاضر نحتاج إلى الرجوع للسيرة النبوية؛ لما فيها من القدوة الصالحة لنا، فهي أعظم سيرة كاملة تستحق أن تكون قدوة للناس بجميع فئاتهم وأحوالهم.

-أن السيرة النبوية تُعطينا مركزية تأريخية وثقافية وحضارية لتكون قاعدة الانطلاقة الكبرى في دروب الحضارة الإنسانية.

-أن سيرة النبي الكريم ﷺ تبعث في المسلمين اليوم روح الفأل والثقة بالله، فقد بدأ بالدعوة إلى الإسلام مع نفر قليل مستضعفون في الأرض، ثم نصره الله وأعزه وأعز دينه.

-أن المقصود بفقه الخلاف: هو معالم حسن الفهم لطرائق التعامل مع من خالف في الدين والشريعة والمنهج والفكر، سواء كان وثنياً أو كتابياً أو مبتدعاً أو منازعاً لك في بعض المسائل القطعية أو الظنية.

-مما يدلنا على الحاجة لفقه الخلاف: لما فيه من تحقيق معاني العبودية لله، وذلك ببذل الحق للخلق، والتعامل بعهم بالعدل والعلم الذي أمر الله به.

-أن التحلي بفقه الخلاف يبعث روح الفأل، وحسن التعامل والتعايش مع الآخرين مهما بلغت درجة الخلاف.

-جاء ذكر الخلاف في القرآن إما أن يُذم فالطائفتان جميعاً، أو يكون مما فيه حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون، وذم للأخرى، وأكثر الخلاف الذي يكون فيه سفك للدماء واستباح للمحرمات من النوع الأول.

-يلاحظ المطالع في السيرة النبوية أن التعامل مع المخالفين يقوم على ثلاثة أسس، العلم بالحق وبيانه للناس، إذ خلاف ذلك الجهل الذي يهدي إلى سوء السبيل. والعدل مع المخالف، والذي خلافه الظلم الذي يَفْجر فيه صاحب الخصومة، ولا يؤدي الحق كاملاً تاماً، والرحمة بالمخالف، وإرادة الخير والهدى له.

-لفقه الخلاف أثر عظيم على الداعية مما ينعكس نجاحه على العملية الدعوية، فهو يجعل الداعية متوسطا في حكمه، منصفا عادلا، محسنا الظن في كل من خالفه، بعيدا عن الغلة والتشدد والإرهاب.

-لفقه الخلاف أثر كبير على الأمن الفكري في المجتمعات التي تؤمن به وتتبناه.

التوصيات:

-إنشاء موسوعة عن أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – وتشتمل على جزءٍ عظيم في أخلاقه مع المخالفين له.

-إنشاء مقرر يعنى بتدريس هدايات فقه الخلاف من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتعامله مع المخالفين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الكريم.

المراجع:

١- الإحسان ومجالاته وآثاره من المنظور القرآني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م

٢- الاستغاثة في الرد على البكري، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، الطبعة: السابعة١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

٤- التسعينية، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، طبعة: مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

٦- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، طبعة: دار الكتب العلمية، عام:١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٧- سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٨- صحيح ابن حبان، الإمام: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ.

٩- صحيح البخاري، للإمام: محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠-صحيح مسلم، للإمام: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

١١-فقه الرد على المخالف، د. خالد بن عثمان السبت، مركز المصادر، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

١٢-قدوتنا الأعظم، محب الدين الخطيب، محمد رسول الله خلاصة سيرته ومقالة نادرة فيه، د. محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ص٥٨.

١٣-مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام: ١٤٢٥هـ.

١٤- مسند الإمام أحمد، للإمام: أحمد بن حنبل، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٥-مفتاح دار السعادة، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، طبعة: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

١٦-منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٧-منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان بن عبد الله الماجد، طبعة مركز تكوين، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

هوامش البحث

(١) مقال: قدوتنا الأعظم، محب الدين الخطيب، محمد رسول الله خلاصة سيرته ومقالة نادرة فيه، د. محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة

الأولى ١٤٢٧هـ، ص٥٨.

(٢) انظر: منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان بن عبد الله الماجد، طبعة مركز تكوين، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ، ص١٠.

(٣) انظر: منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان بن عبد الله الماجد، ص١٣.

(٤) انظر: منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان بن عبد الله الماجد، ص١٠.

(٥) انظر: منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان بن عبدالله الماجد، ص١٥.

(٦) أخرجه ابن حبان، الإمام: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ، ٢٥٤/٣ (٩٧٣).

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، الطبعة: السابعة١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١٤٦/١.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ١٥٦/١.

(٩) المرجع السابق، بتصرف، ١٤٨/١.

(١٠) فقه الرد على المخالف، د. خالد بن عثمان السبت، مركز المصادر، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ، ص٢٨.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، للإمام: محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، قم الحديث: ٧٣٥٢، ومسلم في صحيحه، دار إحياء التراث العربي، رقم الحديث: ١٧١٦ .عن عمرو بن العاص- رضي الله عنه-.

(١٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام: ١٤٢٥هـ، ١٢٢/١٩-١٢٨. وانظر: فقه الرد على المخالف، د. خالد السبت، ص٢٩-٣٠.

(١٣) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، ٢٥١/١.

(١٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص٤٦٣.

(١٥) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: ٧٧٠.

(١٦) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٣٦٢٠.

(١٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ٣٦٦/٢٥.

(١٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده،٤٨٧/٣.

(١٩) التسعينية، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، طبعة: مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٩٠٣/٣.

(٢٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: ١٨٢٦.

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث: ٤٨٩٠.

(٢٢) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٢٧/٥.

(٢٣) أخرجه البخاري قي صحيحه، رقم الحديث:٣٤. ومسلم في صحيحه، رقم الحديث: ١٠٦.

(٢٤) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، طبعة: دار الكتب العلمية، عام:١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٤٠٨/٨.

(٢٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٥٧/٤.

(٢٦) أخرجه أبو داود في سننه، الإمام سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، رقم الحديث: ٥١٥٩.

(٢٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: ١٧٩٢.

(٢٨) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٤٣٥١.

(٢٩) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: ٤٧٨٨.

(٣٠) منهج التعامل مع المخالفين، سليمان الماجد، ص٨٩.

(٣١) مفتاح دار السعادة، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، طبعة: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ، ٥٠٤/١، ٥٠٦-٥٠٧.

(٣٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٣/٤٥.

(٣٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٦٧٨٠.

(٣٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: ٤٠٦٧.

(٣٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٣١٥٠.

(٣٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: ٢٠٨.

(٣٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٣١/١.

(٣٨) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

(٣٩) منهج التعامل مع المخالفين، سليمان الماجد، ص٩٤.

(٤٠) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ٣٤٩/٣.

(٤١) أخرجه البخاري، ٣١٦٦.

[٤٢] انظر : الإحسان ومجالاته وآثاره من المنظور القرآني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م , إعداد : مروان أفندي نصرون، ص٢ .

[٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه، باب عبادة المشرك، حديث رقم (٥٦٥٧) ، (١١٧/٧).